

ثلاثة استعمالات محدثة:

أولاً: استعمال "كَيْتَ وَكَيْتَ"

كناية عن مقول القول

للدكتور رجب محمد الوزير

١- ما رواه ابن ماجه (ت٢٧٥هـ) في كتابه سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب الواصلة والواشمة، ونصه:

"حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ حَفْصُ بْنُ عُمَرَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغْيِرَاتِ لَخَلْقِ اللَّهِ. فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ فَجَاءَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ بَلَّغْنِي عَنْكَ أَنَّكَ قُلْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ قَالَ وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" (٢).

٢- ما حكاه الجاحظ (ت٢٥٥هـ) في كتابه: المحاسن والأضداد، ونصه:

يشيع في العربية المعاصرة استعمال "كَيْتَ وَكَيْتَ" كناية عن مقول القول في مثل: "قال محمد كَيْتَ وَكَيْتَ" أي "قال محمد: عليّ مسافر" مثلاً.

وقد خطأ هذا الاستعمال القاسمُ بنُ عليّ الحريري (ت٥١٦هـ)، فيقول: "ويقولون: قال فلان كَيْتَ وَكَيْتَ، فيؤمّمون فيه؛ لأن العرب تقول: كان من الأمر كَيْتَ وَكَيْتَ، وقال فلان: ذيتَ وذيتَ، فيجعلون كَيْتَ وَكَيْتَ كناية عن الأفعال، وذيتَ وذيتَ كناية عن المقال" (١).

غير أن استعمال "كَيْتَ وَكَيْتَ" كناية عن مقول القول، وقد ورد في النصوص العربية القديمة من كتب السُّنَنِ والأدب واللغة والتفسير والتاريخ، ومن ذلك:

(١) الحريري، درة الغواص في أوهام الخواص: ص ٨٥.

(٢) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب الواصلة والواشمة، الحديث رقم ١٩٨٩، ج ١/ص ٦٤٠.

"جاء خالد إلى أمه، فقال: هذا ما صنعت بي سبتي على رؤوس الملائ، وقال لي كيت وكيت، قالت: اسكت، فإني أكفيك أمره" (١).

فقد استعملت "كيت وكيت" في هذا النص كناية عما أُستقبح ذكره من قول مروان بن الحكم لخالد بن يزيد بن معاوية، وهو السبُّ القبيحُ الشنيع.

٣- ما ذكره إبراهيم بن محمد البيهقي (ت بعد ٣٢٠هـ) في كتابه المحاسن والمساوي (باب محاسن كرم الصحبة)، فقد ذكر أن رجلاً من الشام أسدى معروفًا كبيرًا إلى العباس وهو بالشام، فلما صار العباس صاحب شرطة الخليفة المأمون ببغداد دخل الرجل السجن في تهمة هو منها براء، فهرَّبَه العباسُ واعترف للمأمون بصنيعه هذا، فعفا المأمون عنهما وطلب من العباس أن يُخضِرَ الرجلَ لمكافأته، فيقول العباس:

"قصرْتُ إليه وقلت: ليسكن روعك، إن أمير المؤمنين قال كيت وكيت، فقال: الحمد لله... فلماً مثل بين يدي المأمون أدناه حتى أجلسه إلى جانبه وآنسه وحدثه" (٢).

ففي هذا النص استعملت "كيت وكيت" كناية عن قول الخليفة المأمون للعباس: "فاذهب إليه الآن وطيب نفسه وسكن روعه وتعبّر به إليّ حتى أتولّي مكافأته عنك" (٣).

والغرض من استعمال هذه الكناية هنا هو عدم تكرير قول المأمون، حتى لا يطول الكلام.

٤- قول عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٤هـ) في كتابه دلائل الإعجاز: ".... ذاك لأنه لا يجوز أن يقال: إن المؤمنين نُهوا عن أن يحكوا عن النصارى مقاتلتهم، ويخبروا عنهم بأنهم يقولون كيت وكيت" (٤).

(١) الجاحظ، المحاسن والأضداد: ص ٢٦٣.

(٢) البيهقي، المحاسن والمساوي: ج ١/ص ١٩٤.

(٣) الكتاب نفسه: ج ١/ص ١٩٤.

(٤) عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص ٣٨٤.

٥- تفسير الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) لقوله تعالى: (١)

(فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ):
"الرَّوْعُ" ما أوجس من الخيفة حين نَكَرَ أضيفه. والمعنى أنه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملى سروراً بسبب البشري بدل الغم فرغ للمجادلة.

فإن قلت: أين جواب لما؟ قلت: هو محذوف ... وقوله (يجادلنا) كلام مستأنف دال على الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا، أو فطن لمجادلتنا، أو قال: كَيْتَ وَكَيْتَ ثم ابتداء فقال: "يجادلنا في قوم لوط" وقيل: في يجادلنا: هو جواب لما، وإنما جيء به مضارعاً لحكاية الحال (٢).

٦- ما رواه عز الدين بن الأثير (ت ٦٣٠هـ) في كتابه الكامل في التاريخ، ونصه:

"ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمئة... فأرسل السلطان إلى نظام الملك رسالة مع تاج الدولة ومجد الملك

البلاساني وغيرهما ... وأرسل معهم الأمير يلبرد وكان من خواصه وثقاته، وقال له: تعرفني ما يقول، فربما كنتم هؤلاء شيئاً، فحضروا عند نظام الملك وأوردوا عليه الرسالة، فقال لهم: قولوا للسلطان إن كنت ما علمت أنني شريكك في الملك فاعلم، فإنك ما نلت هذا الأمر إلا بتدبيري ورأيي...

فلما خرجوا من عنده اتفقوا على كتمان ما جرى عند السلطان وأن يقولوا له ما مضمونه العبودية والتتصل، ومضوا إلى منازلهم وكان الليل قد انتصف، ومضى يلبرد إلى السلطان فأعلمه ما جرى، وبكر الجماعة إلى السلطان، وهو ينتظرهم، فقالوا له من الاعتذار والعبودية ما كانوا اتفقوا عليه فقال لهم السلطان: إنه لم يقل هذا، وإنما قال "كَيْتَ وَكَيْتَ" (٣).

وبناء على ورود هذا الاستعمال في النصوص العربية القديمة أقترح إجازة استعمال "كَيْتَ وَكَيْتَ" كناية عن مقول القول بهدف التيسير والتوسع في اللغة.

(١) سورة هود، الآية ٧٤.

(٢) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج ٢/ص ٤١٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ١٠/ص ٢٠٦..

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن الشيباني):

* الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

- البيهقي (إبراهيم بن محمد).

* المحاسن والمساوي، تصحيح جوجيه وجولدتسيهر ونولدكه، تحرير D.D.D. مدينة جيسن ١٩٠٢م.

- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر).

* المحاسن والأضداد، مطبعة برييل، مدينة ليدن المحروسة ١٨٩٨م.

- الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد):

* دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه أبو فهد محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٨٤م.

- الحريري (القاسم بن علي):

* درة الغواص في أوهام الخواص، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر):

* الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، شرحه وضبطه وراجعه يوسف الحمادي، مكتبة مصر، القاهرة ٢٠٠٠م.

- ابن ماجه (الحافظ أبو عبد الله محمد ابن يزيد القزويني):

* سنن ابن ماجه، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة بدون تاريخ.